موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

خطبة جمعة

إلباس الحق بالباطل
في شأن الحجاب

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

٢٧/ صفر/ ١٤٣٦

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

تمَّت مراجعتها وتعديل بعض ألفاظها من الشَّيخ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادِي له، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أمَّا بَعْدُ..

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة.

أَيُّهَا المُؤْمِنُون؛ اتَّقوا ربَّكم حقَّ التَّقوىٰ، واقتدوا برسولكم وإمامكم في الآخرة والأولىٰ.

واعلموا -رحمكم الله- أنَّ من حبائل الشَّيطان ومصائده، وموارد الشَّر ومناهله: إلباسُ الحق بالباطل؛ لتتذبذب حقيقته، ولا يتميز معروفه ومنكره؛ فيضعُف في نفوس الخلق، ويروج الباطلُ في صورة الحق.

ينفث فيه إبليسُ مَكره، ويُجهد فيه نائبُه من الناس فكره؛ ليشهر الباطل، ويعظَّم العاطل، فلا يَنفَق باطل يُنصب، ولا يُصدَّر عاطل ينصَّب؛ إلا بإظهار الباطل في صورة الحق، فيقصِده من يقصده من النَّاس يحسبه خيرا وهو الشَّر، ويظنه نجاة وهو الهلكة.

يُكسىٰ ألفاظًا برّاقة، ويمنح ألقابا سرّاقة، فيُسمىٰ إلباس الحق بالباطل حركةً في زمان الجمود، وعطاء في أوان الجحود، ويكون صاحبه بزعمه وزعم أنصاره مجددا خارجا عن المألوف، وشجاعا مقتحمًا للممنوع والمخوف، ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾[الأنعام:١١٢].

يتَّخذون اتباعا الأدلة شعارا، وإصلاح الأمة دثارا، يتبعون المتشابه ويُعرضون عن المحكم، ويعدلون إلىٰ الشاذ ويدعون المحكَّم؛ قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران:٧].

إنَّ الملبسين للحق بالباطل هم الذين قال الله لأئمتهم من اليهود زاجرا: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾[البقرة]، وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[آل عمران]، فاليهود لفساد طويّتهم وخبث مقاصدهم يجعلون إلباس الحق بالباطل سلّما للوصول إلىٰ المأمول، وتحقيق المطالب.

وورثَهم قوم في هٰذه الأمة ابتدأ أمرُهم واستبق شرُّهم مع البعثة النبوية:

- **فبإلباس الحق بالباطل** صُد كثير من الناس عن التصديق بنبوة الصادق المصدوق ﷺ.

- **وبإلباس الحق بالباطل** رَجع من رجع عن النبي ﷺ؛ فلم يقاتل معه في أُحد.

- **وبإلباس الحق بالباطل** تكلم أهل الإفك في عرض النبي ﷺ، وراج علىٰ ألسنة المؤمنين منه ما راج.

- **وبإلباس الحق بالباطل** ارتد أناس في ابتداء خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومنع منهم من منع الزكاة.

- **وبإلباس الحق بالباطل** عظُم شرُّ الخوارج في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما؛ حتىٰ قُتل الرَّجلان الصَّالحان عثمان ابن عفان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما باسم تحقيق الإصلاح وتحصيل المطالب المشروعة.

ولا تزالُ مشاهد إلباس الحق بالباطل تتجدَّد في كلِّ زمان، وتُرفع رايتها باسم الإصلاح والإحسان.

- **فبإلباس الحق بالباطل اليوم** هُوِّن الشرك فصار دعاءُ غير الله والاستعانة به والذبح له شركًا غير مخرجٍ صاحبَه من الإسلام ما دام يعتقد أن النافع الضار هو الله.

- **وبإلباس الحق بالباطل** لم تعُد الخمر حرامًا؛ لأنَّ المحرَّم هو الإسكار، وأمَّا الخمر فلا.

- **وبإلباس الحق بالباطل** صار لُبس الواقي مانعا من تسمية الزنىٰ زنىٰ؛ إذا أتىٰ الرجل امرأة حرامًا لا تحل له.

- **وبإلباس الحق بالباطل** نُسخ السمع والطاعة لولي أمر المسلمين؛ إذ لا بيعة لأحد إلا لمن كانت ولايته عامَّةً علىٰ المسلمين في الأرض جميعًا.

- وبإلباس الحق بالباطل صار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخُّلا في الخصوصيات وكبتًا للحريات.

وأمام هٰذا السيل الجارف والشر الهارف تُبيِّن الشريعة طوق النجاة وسبيل المنجاة في حديثٍ واحد فقط يكفي من كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ تلا قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[آل عمران:٧]، قال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

وليس بعد بيان أبي القاسم ﷺ بيانٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، ربِّ السَّمٰوات، وربِّ الأرض، ربِّ العرش العظيم.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعلىٰ آله

وصحبه وَسَلَّمَ تسليمًا مزيدًا إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعد؛

أيُّها المؤمنون؛ إنَّ الشِّباك الشَّيطانية التي ينصبها إبليسُ ونوابه في الأرض لإلباس الحق بالباطل لا تنتهي حلقاتها، ولا تنقضي موبقاتها؛ بل يتجدّد في كل زمان ما يلبِّس به الملبسون ويُبطل به المبطلون.

ومما تناولته شباكهم، وامتدت إليه سهامهم، أمرُ الحجاب؛ فظهرت فيه أنواعٌ من إلباس الحق بالباطل.

فمن تلك المشاهد زعمهم أن الحجاب شيءٌ خاص بالمملكة العربية السعودية؛ فلا يتعداها إلىٰ غيرها وصدَقوا وكذبوا:

فأما صدقهم؛ فإن الشعار الظاهر منه في بلاد الإسلام اليوم هو في المملكة العربية السعودية، وأطرافٍ يسيرة مختلفة من الأرض.

وكذبوا في دعواهم؛ فإنهم لو رأوا تلك الصور الملتقطة قبل مائة؛ لرأوا فيها نساء المسلمين جميعًا - في مصر والشام؛ بل في تركيا قبل زمان أتاتورك - وكلهن قد تقيدن بالحجاب الشرعي، فليس شيئا خاصا بالمملكة العربية السعودية إلا لانحصار حقيقة الإسلام عن كثيرٍ من البلاد الإسلامية.

* ثم إذا قيل لهم هٰذا، قالوا: نعم؛ هو ليس خاصا بالمملكة العربية السعودية، ولو كان في العالم كله؛ فهو عادة موروثة عن الآباء والأجداد من العرب من زمان الجاهلية حتىٰ اليوم.

وكيف يقول أولئك: إنه عادة؟ والله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾[الأحزاب:٥٩].

قال البُقاعي الشَّافعي في تفسير هٰذه الآية: «أي علىٰ وجوههن وجميع أبدانهن، فلا يدعن شيئا منها مكشوفا».

فكيف يكون عادة والله ﷻ يأمر نبيه ﷺ أن يأمر نساءه وبناتِه ونساء المؤمنين بأن يُدنين عليهن جلابيبهن، وما أمر به اللهُ ﷻ فهو عبادة لا عادة.

* ولما قيل لهم ذلك فزعوا إلىٰ شبهة جديدة يلبّسون بها الحق بالباطل؛ فقالوا: نعم، هو ليس عادة بل عبادة؛ ولٰكِنَّ تلك العبادة التي تعد شريعة عندكم أيها الناس، هي عند أقوام آخرين من المسلمين لا تعد شريعة. فالأمر مختلف فيه بين تغطية الوجه وعدمه.

ونسِي هؤلاء أن وجود الخلاف ليس مسوِّغا لقبول قول آخر، فلو أراد المرء أن يبحث عن المسائل التي يُدعىٰ فيها الخلاف؛ لوجد فيها مسائل كِبارا، لا يجرأ هؤلاء اليوم أن يَبوحوا بها:

- فإنَّ من الخلاف المدَّعىٰ في الواقع الاختلافَ في صحة ولاية غير القرشي أمرَ المسلمين العام.

- ومن الخلاف المدَّعىٰ في الواقع الاختلافَ في الخروج علىٰ ولاة الظلم والجور أن يُخرج عليهم وينازعوا الأمر أم لا.

وإنَّ هؤلاء الذين يُشهرون اليوم الخروج عن جماعة المسلمين في دينهم العام سيشهرون غدا القول بالخروج علىٰ ولاتهم واختلال النظام.

ثم إن هؤلاء الذين يزعمون الخلاف يطوون أقوالًا ذُكر فيها الإجماع؛ لم يذكرها عالم نجديٌّ قط؛

ولا عالمًا من هٰذا القرن؛ بل نقل أحد علماء اليمن وهو الشوكاني في «تفسيره»: اتفاق المسلمين علىٰ منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه لا سيما عند كثرة الفساق، فهي شريعة مُجمعٌ عليها ولا سيما مع كثرة الفساق.

* فإذا قيل لهم ذلك فزعوا بعد هٰذا إلىٰ شبهة أخرىٰ يلبِّسون بها الحق علىٰ الباطل؛ فقالوا: نعم هي شريعة بالاتفاق؛ ولٰكِن لأمهات المؤمنين دون سائر نساء العالمين.

ويغفل هؤلاء عن أن الله ﷻ لما خاطب رسوله ﷺ في الآية السَّابقة بأن يأمر نساءَه وبناته ونساء المؤمنين أن يدنين عليهم من جلابيبهن، قال ﷻ ذاكرا عِلَّة ذلك: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]، وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾[الأحزاب:٥٣]، فعلة الحكم طلب حفظ النساء من الأذية مع تحصيل طهارة قلوبهن وطهارة قلوب الرجال.

وإذا كان هٰذا أمرًا مخوفًا منه علىٰ نساء النبي ﷺ وبناته ونساء المسلمين في زمانه؛ فإن الخوف علىٰ من بعدهن أشد فهن محتاجاتٌ إلىٰ حفظ أنفسهن من الأذية، وهن محتاجات إلىٰ طهارة قلوبهن، وكذلك الرجال الذين يعاملونهن يحتجون إلىٰ أن يكونوا علىٰ تلك الطهارة التي أمر بها خير الناس بعد الأنبياء وهم أصحاب النبي ﷺ.

* ويلقي هؤلاء شبكةً أخيرة في إلباس الحق بالباطل فيقولون: نعم؛ هي شريعة إسلامية بالإجماع، وليست لأمهات المؤمنين فقط؛ بل لكل النساء؛ لكنها تختص برؤوس النساء دون وجوههن، ولا أيديهن.

وينسىٰ أولئك أن الله ﷻ الذي أمر بالجلباب والخمار بيَّن ﷻ لِما كان عليه الناس في عهد النبي ﷺ أنَّ الخمار يتناول الوجه أيضًا.

ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنها لما رأت صفوان قالت: فخمرت وجهي بجلبابي.

وعن فاطمة بنت المنذر -رحمها الله تعالىٰ، وكانت من أعيان التابعيات- قالت: كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

فسَمُّوا كل ذلك خمارا، فغطاء الراس يسمىٰ خمارا، وغطاء الوجه يسمىٰ خمارا، وإنما عد إدناءً للجلباب لأن المقصود في الشرع أن يدنىٰ من أعلىٰ الرأس حتىٰ يسترسل علىٰ الوجه وعلىٰ الصدر.

فهٰذه حقيقة الحِجاب في الإسلام، وهٰذه حقيقة إلباس الحقِّ بالباطل.

بقي أن تعرفوا -أيها المؤمنون- أنَّ الذين قاموا بممارسة إلباس الحق بالباطل في عهد النبي ﷺ وصرفوا عنه من صرفوا يوم أُحد، ثم تولَّوا إلباس الحق بالباطل في زمن أصحاب النبي ﷺ؛ حتىٰ قتل عثمان وعليّ بإلباس الحقِّ بالباطل لم يكونوا أناس يظهرون إلا الإسلام، وكانوا في حلتهم الظاهرة أولي لحىٰ مع تقصير ثيابهم.

وحقيقة الإسلام امتثال الدِّين الذي جاء به النبيُّ ﷺ، وربّ امرئ يفوته في الظاهر بعض شعائر الإسلام أعظم دينا من امرئ يفوته كثير من شعائر الإسلام في باطنه.

فاحفظوا -رحمكم الله- دينكم، وامتثلوا وصية نبيكم ﷺ إذ حذَّركم من الذين يتعبون المتشابه ويلبِّسون الحق بالباطل.

واعلموا أن سلسلة ذلك لا تنتهي، وإذا كانت ضعيفة في مسائل سمعناها في الشرك والخمر والزنىٰ، فربما تعظم هٰذه المسائل إذا أدرك أولئك الملبّسون مبتغاهم فيما يلبسون به اليوم من شعائر المسلمين.

واعلموا أنَّ خير دينكم ما مات عليه نبيكم ﷺ؛ فتمسَّكوا بالدِّين الذي جاء به النبيّ ﷺ فهو الدين الذي أمره به الله ﷻ.

اللّٰهمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام نائمين.

اللّٰهمَّ أحينا علىٰ الإسلام والسنة، وتوفَّنا علىٰ الإسلام والسُّنة.

اللّٰهمَّ أَحْيِنَا حَيَاةً سَعِيدَة، وَتَوَفَّنَا وَفَاةً حَمِيدَة.

اللّٰهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

اللّٰهمَّ حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك الصالحين، اللّٰهمَّ كرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من عبادك الراشدين.

اللّٰهمَّ آتِ نُفوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللّٰهمَّ احفظ علىٰ هٰذه البلاد خاصة وعلىٰ سائر بلاد المسلمين دينَها وأمنها وأمانها.

اللّٰهمَّ هيِّئ لهٰذه الأمة أمرًا رشدا يُذلُّ فيه علىٰ الحقِّ ويُبطل فيه الباطل.

اللّٰهمَّ ولِّ علىٰ المسلمين خيارَهم وقهم شرَّ شرارهم، اللّٰهمَّ ولِّ علىٰ المسلمين خيارهم وقهم شر شرارهم.

اللّٰهمَّ إنَّا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللّٰهمَّ فَرِّجْ كُرَبَ المكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ هُمُومَ المهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ المدِينِينَ، وَاشْفِ مَرَضَنَا وَمَرْضَانَا وَمَرْضَىٰ المسْلِمِينَ،

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[العنكبوت:٤٥] .